الفصل الثاني الغزوات الجرمانية للامبراطورية الرومانية

أسباب هجرات الشعوب الجرمانية وغزواتهم للإمبراطورية الرومانية:

١- الزيادة التى طرأت على اعدادهم ،فإن الأراضي لم تعد قادرة على استيعابه ٢- كما أن اراضيهم الزراعية وما تنتجه من محاصيل أصبحت غير كافيه لسد احتياجاتهم ٣- فإن هذه الشعوب تعودت على حب المغامرة وعدم الاستقرار فى مكان ما لفترة طويلة . ٤- المدنية الرومانية وما بلغته من تقدم من بين العوامل الى اجتذبت انظار هذه الشعوب. ٥- الضغط الذي تعرض له لجرمان من قبل القبائل الرعوية البدوية القاطنة فى وسط آسيا.٦- طقس البلاد التى يعيشون فيها لعب دورا كبيرا فى هجراتهم

غارات الشعوب الكلتية على الإمبراطورية الرومانية : والشعوب الكلتيه هى إحدى عناصر الجنس الأوروبي الهندى ، التى وصلت الى أوروبا عن طريق الهجرة صوب الغرب منذ أزمنة موغلة فى التاريخ . غير أنهم اضطروا تحت وطأة الجرمان من الشمال ، ابتداءا من سنة ٤٠٠ قبل الميلاد الى ترك هذه المناطق والتوجه ناحية الجنوب الغربى والجنوب الشرقى .

أولا :القوط وعلاقاتهم بالامبراطورية الرومانية حتى القرن الرابع : القوط قد احتلوا – خلال القرن الاول الميلادى – الشواطئ الجنوبية لبحر البلطيق ، وفى القرن الثانى الميلادى بدأوا يهاجرون الى المنطقة الواقعة الان جنوب روسيا. فوصلوا الى شواطئ البحر الاسود ، وفى النهاية استقر بهم المقام فى المنطقة الواقعة بين نهر الدن ونهر الدانوب السفلى.

القوط الغربيين (الفيزيقوط) ، وهؤلاء أقاموا بين نهرى الدانوب والداينستر ، وهى الان ملدافيا ، وولاشيا وهنغاريا الجنوبية. فى حين أن الفيزيقوط فعتود تسميتهم الى صفة الحكمة .

والقوط الشرقيين (الأوستروقوط) وهؤلاء أقاموا جنوب روسيا على نهر الداينستر ، الان بساربيا ، وترنسلفانيا ووادى الدنيستر .لان تسمية من عرفوا بالشرقيين أو الأوستروقوط ، إنما تعود أصلا الى لفظ قديم وهو أى الساطعون او الزاهرون.

هجوم القوط على الإمبراطورية الرومانية : وعبروا نهر الدانوب ، وزحفوا داخل اراضيها ، الامر الذى حتم على بعض الاباطرة الرومان امثال – جورديان دفع الرشوة لزعمائهم، لمغادرة الاراضى الرومانية ، ففى عهد الامبراطور دكيوس (٢٤٩ – ٢٥١ م) ، عبر القوط نهر الدانوب الادنى وهاجموا مقدونيا، وتراقيا ، ونشروا الدمار والخراب فى الامبراطورية، بل وزحفوا صوب مدينة فيليبوبوليس ، وعندما سعى دكيوس لوقف زحفهم منى بهزيمة مدوية على أيديهم. ولكنه رفض، حيث كان ينوى القضاء عليهم، فدفع ثمن هذا الرفض غاليا ؛ وذلك لأنه فى المعركة التى خاضها ضدهم سنة ٢٥١ م ، لقى حتفه وابنه .

ولقد ترتب على هذه المعركة استيلاء القوط على الولايات الدانوبية، لاسيما بعدما عجزت القوات الرومانية عن وقف زحفهم. ولذلك عندما وجد الامبراطور جالوس (٢٥١ – ٢٥٢ م) أنه غير قادر على طردهم من اراضية، عرض عليهم الجلاء منها مقابل جزية سنوية ضخمة. وقد تمكن الامبراطور كلوديوس

الثانى الملقب بالقوطى (٢٦٨ – ٢٧٠ م) من هزيمة القوط بالقرب من نيسوس (نيس) فى سنة ٢٦٩ أو ٢٧٠م

اعتناق القوط للمسيحية : بدأت المسيحية تظهر بين قبائل القوط فى القرن الثالث الميلادى . وهناك اعتقاد بأن اسرى القوط الذين اسروا من قبل الرومان فى آسيا الصغرى عندما عادوا الى بلادهم راحوا ينشرون هذه الديانة بين أقرانهم. وعلى كل فاعتناق القوط للمسيحية جاء على المذهب الاريوسى ، وذلك عن طريق مبشرهم العظيم أولفيلاس (٢١١ – ٢٨١ م) .

القوط الغربيين (الفيزيقوط) والامبراطورية الرومانية : بدأت جحافل الهون الاسيوية التقدم صوب الغرب ، فى شكل اعصار مدمر، اجتاح قبائل الالان الجرمانية فى المنطقة الواقعة بين القوقاز والدون ، وبعد ذلك بخمس سنوات، وبالتحديد فى سنة ٣٧٥ م ، انقض الهون على القوط الشرقيون فى جنوب روسيا ، ونكلوا بهم فانقسموا الى قسمين،حيث انضوى القسم الذى يمثل الاغلبية تحت سيادة الهون ، الذين عاملوهم معاملة طيبة، أما القسم الثانى فقد اتجه الى الدنيستر ثم الى الدانوب وهناك انضموا الى أخواتهم القوط الغربيين . وهؤلاء بدورهم عندما انقض عليهم الهون فى اقليم داشيا سنة ٣٧٦ م .

عبور القوط الغربيون نهر الدانوب : عندما وقفوا على نهر الدانوب والعدو من خلفهم ومياه النهر من أمامهم ، أرسلوا وهم فى حالة يأس صرخة أمل فى سنة ٣٧٦ م الى الامبراطور فالنز (٣٦٤ – ٣٧٨ م) بأن يسمح لهم بعبور نهر الدانوب حتى يسلموا من الطوفان الهونى . من الصعب عليه أن يقرر أى الامرين أشد خطورة : أن يرفض السماح بالعبور لمائتى ألف رجل وفى حالة ياس وبايديهم الاسلحة وخلف ظهورهم عدو متوحش وكانت موافقة فالنز مشروطة بتقديم القوط رهائن، وتسليم أسلحتهم. قبل القوط الغربيين شروط الامبراطور فالنز وقدموا أبناء رؤسائهم رهائن، وعبروا نهر الدانوب حوالى ٥٠٠.٠٠٠ ألف قوطى.

بداية نذر الخلاف بين القوط الغربيون والإمبراطورية الرومانية : ولكن القوط الغربيون ما ان وصلوا الى مؤيزيا ، حتى بدأت نذر الاضطرابات تلوح فى الافق ، اذ أن الموظفين الرومان سعوا فى البداية الى تجريد القوط من سلاحهم ، الا أنهم رفضوا هذا المبدأ، وقاموا بدفع رشاوى كبيرة بهدف السماح لهم بالاحتفاظ بأسلحتهم.

ثورة القوط الغربيون ضد الرومان ، لماذا ؟.

اولا : إن موارد مؤيزيا لم تكف كل هذه الآلاف من الأنفس التى دخلت حدودها، واذا كان الامبراطور فالنز قد أمر بجميع كميات من القمح الآسيوى لسد رمق القوط . ثانيا : إن السكان الرومان انفوا وجود كل هذه الالاف المؤلفة من البرابرة الجرمان على أراضيهم. ثالثا: المعاملة الغير انسانية التى عامل بها قادة الامبراطورية الرومانية وموظفيها الجرمان . رابعا : قيام السلطات الرومانية بنقل أعداد كبيرة من القوط فى آسيا الصغرى .

ثورة القوط الغربيون ومقتل فالنز : لم يكن أمام القوط سوى الاحتكام الى السلاح ، فثاروا ضد الامبراطور، وعاونهم فى ذلك عناصر متبربرة أخرى من قبائل الهون والآلان ، وكثيرين من العبيد الفارين ، وعجزت القوات الرومانية عن الوقوف فى وجوههم . ودخل المعركة وهو مفعم بالنصر ، لدرجة انه لم يكلف نفسه عناء إحضار فرق الفرسان، أو انتظار قدوم ابن اخيه الامبراطور جراتيان ، امبراطور النصف الغربى من الامبراطورية، وهو أمير صغير وشجاع ، ولكن مستشارى فالنز أوحوا اليه بعدم الانتظار حتى ينال شرف الانتصار وحدة .

ماهى النتائج التى ترتبت على موقعة ادريانوبل ؟

أولا : انكسار حاجز الخوف والرعب والوهم الذى كان يسيطر على قلوب. ثانيا : تمزق الجيش الرومانى (جيش القسم الشرقى من الامبراطورية كله) فى هذه المعركة. ثالثا : انتشار القوط فى شبه جزيرة البلقان وتعرض مدينة القسطنطينية لاول هجومهم.

الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (المحب للسلام والقوط) والقوط الذين أصبحوا بمقتضاها معاهدين للامبراطورية. ومما خفض من حدة حرارة القوط هو التنازل لهم عن بعض الاراضى الرومانية التى كانوا قد خربوها فى اقليمى مؤيزيا وتراقيا ، وذلك بهدف الاقامة فيها . وتمتعهم أيضا بالسيادة الذاتية الكاملة ، والاعفاء من الضرائب. ان ذلك كله كان مقابل تعهد القوط بتقديم العون العسكرى للامبراطور سنويا.

تقسيم الإمبراطورية على يد ثيودوسيوس الكبير ، عام ٣٩٥م: قسيم امبراطوريته الى قسمين:

شرقى ، وعاصمته مدينة القسطنطينية وعين عليه ابنه الاكبر اركاديوس (٣٩٥ – ٤٠٨ م) ، امبراطورا ، والذى كان عمره يومها حوالى ثمانية عشر عاما . وغربى، وعاصمته رافنا وعين عليه ابنه هونوريوس (٣٩٥ – ٤٢٨ م) امبراطورا، والذى كان قاصر، حيث كان عمره يناهز الحادية عشر عاما.

تعليق على تقسيم الإمبراطورية عام ٣٩٥م : وعلى أية حال ،لقد سلم الأخوين دفة الامور فى كل قسم من اقسام الامبراطورية الى الاجانب. حيث تولى ستيليكو ، القائد الواندالى فى الغرب ، فى حين تولى روفينوس الوزير القوطى فى الشرق.

ألاريك والإمبراطورية الرومانية : فكما هو حادث ، اختار القوط الغربيون الاريك ابن العشرين – ملكا عليهم ورغم ذلك لم يكن يدور فى خلده تدمير الامبراطورية . وكى يوقف اركاديوس هذا الطوفان الجارف الذى لا قبل له به ارسل وزيره " روفينوس " الى الاريك فى مارس سنة ٣٩٥ م. وبعد مفاوضات طويلة وشاقة حصل الاريك على مبلغ من المال كما أنعم عليه اركاديوس بلقب شرفى عظيم هو " سيد الجند "ولكن هذا لم يرض أطماع الاريك فلوى عنان فرسه ناحية القسم الغربى من الامبراطورية الرومانية ، وذلك بهدف غزو ايطاليا ومن ثم عبر فى سنة ٤٠١ م جبال الالب ، وانساب بقواته فى الشمال الايطالى .

كما استدعى ستيليكو من بلاد الغال (فرنسا) لوقف زحف الاريك وبالفعل تمكن ستيليكو من هزيمة الاريك وجحافله هزيمة مروعة بالقرب من بولانزو ، فى مارس سنة ٤٠٢ م وأنزل به هزيمة قاسية أخرى فى

موقعة فيرونا ، فى سنة ٤٠٣ م .ولكن اذا كان آلاريك غض الطرف عن غزو مدينة روما ، فان ذلك كان مؤقتا فقط . ان الرجل كان يتحين الفرصة، التى جاءته تسعى باعدام ستيليكو سنة ٤٠٨ م على يد الامبراطور هونوريوس .

ألاريك ومدينة روما : لم يترك الاريك الفرصة تفلت من يده ، فعبر على الفور جبال الالب متوجها الى مدينة روما ، وفى مطلع سنة ٤٠٩ م وصل بجحافله الى مدينة روما ، وأحكم حصاره عليها ، حتى عانى اهلها من الجوع بسبب نقص المؤن ، ومات منهم الالاف جوعى ومما زاد الطين بلة ، أن الامبراطور هونوريوس ، الذى لا حول له ولا قوة هرب من روما وتوجه الى مدينة " رافنا " وفى ٢٤ أغسطس سنة ٤١٠ م دخلت القوات القوطية مدينة روما ، ويومها راحت تنهب ، وتسلب وتشعل النار فى كل ما يقابلها فى المدينة.

تطلع ألاريك لغزو الشمال الافريقى : أن الاريك فكر فى غزو شمال افريقيا الذى كان يمد روما بالغلال، فتقدم على راس قواته حتى وصل جنوب ايطاليا توطئه لعبور البحر المتوسط ولكن المنيه عاجلته فجاه قبل نهاية ٤١٠ م فى ابوليا .

الملك أثولف والإمبراطورية الرومانية :بعد موت الاريك المفاجئ ، اختار القوط الغربيون اثولف ملكا عليهم . أن الرجل قد فكر للحظة فى إزالة الامبراطورية الرومانية وإقامة امبراطورية قوطية مكانها ، ولكنه مالبث أن عدل عن هذه الفكرة . ولذلك نجده يضع ، فى نهاية الأمر ، جيوشه وشعبة فى خدمة الامبراطور ، ويتخذ لقب " باعث مجد الامبراطورية الرومانية "، هذا فى الوقت الذى فكر فى اتخاذ بلاد الغال وطنا لقومة، فكان إن تقدم الى الشمال الايطالى، وعبر جبال الالب بقواته الى جنوب بلاد الغال ، سنة ٤١١ م .ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهه السفن ففى سنة ٤١٤ م عقدا آثولف قرانه على جالابلاسيديا ، أخت الامبراطور هونوريوس ، فأثار قائد الجيش قنسطنطيوس الذى كان ينوى الزواج منها، كما أثار أيضا اطماع آثولف فى بلاد الغال، وما ثم قاد قنسطنطيوس قواته واتجه الى هناك. وفى مدينة برشلونة ، اغتيل آثولف فى أغسطس سنة ٤١٥ م ٠

واختار القوط الغربيون سيجريك ملكا عليهم ، ولكنه لم يدم طويلا فى الحكم.

أولا : قتل أولاد آثولف ٠ ثانيا : معاملة جالابلاسيديا معاملة سيئة.

الملك واليا والرومان : يقال ان واليا ملك القوط الغربيين الجديد هو الذى اغتال سيجريك بعد أسبوع واحد من تولية العرش القوطى عمل علي ١- استقرار القوط الغربيين فى اقليم أكوتين فى جنوب غالة . ٢- وافق الرومان على مد القوط الغربيون بالقمح ٣- وافق واليا على إن يكون معاهد (محالف) للامبراطورية٠ ٤- كما وافق على العمل من أجل طرد الواندال.

الملك القوطى الغربى ثيودوريك الاول والرومان :

عند وفاة واليا اختار القوط الغربيين ثيودوريك الاول (٤١٩ – ٤٥١ م) عليهم ، وقد سعى الى توطيد أركان مملكته وتوسيع رقعتها ، ومن أجل ذلك استولى على عدة مدن من الامبراطورية فى جنوب غاليا،

سنة ٤٣٦ م . وعندما سعى الرومان لوقف هذه الاعمال التوسعية نزلت بهم الهزيمة سنة ٤٣٩م ، وعلى اثر ذلك ساد السلام بين الطرفين . وفى النهاية مات ثيودوريك الاول فى سنة ٤٥١ م ، عندما كان يساعد الرومان فى معركة شالون ضد الهون بزعامة اتيلا . فخلفه فى حكم القوط الغربيين ثيودوريك الثانى (٤٥١ – ٤٦٥ م) ، الذى حارب السويفى ، كما مد حدود مملكته حتى نهر اللوار ولكنه قتل فى سنة ٤٦٥ م على يد اخيه أيوريك (٤٦٥ – ٤٨٤ م) الذى يعد من أعظم ملوك القوط الغربيين.

الهون والامبراطورية الرومانية : " الهون " عرفت فى موطنها الاصلى باسم قبائل " هسيونج هو ". التى تعود فى أصولها الى الجنس المغولى. الذى كان يعيش فى شمال الصين الحالية، والمعروفة باسم " منغوليا " . وفى منغوليا لم يطب المقام لقبائل " الهون " ، بسبب بعض التطورات التى وقعت هناك ، فاجبرتها على الرحيل ناحية الغرب بسبب:

١ -الزيادة المطردة فى أعدادها. ٢ - أو نشوب قلاقل وصراعات بينها٠

٣ - أو أن المناخ لعبت تغيراته دورا كبيرا فى التأثير على هذه القبائل ٤ - أو ان المؤن قد قلت .

استقرار الهون فى المجر فى القرن الخامس :واصل الهون زحفهم ناحية الغرب ، تجاه أوروبا الوسطى . وعندما قيض لهذا الزحف المدمر التوقف فى نهاية المطاف ، وبالتحديد فى القرن الخامس الميلادى، كان الهون قد نجحوا فى تكوين امبراطورية شاسعة.ان المؤرخ الرومانى المعاصر " جوردان " فى وصفه للهون ذكر أنهم شياطين لا تقهر، يحاربون من فوق ظهور الخيل ويعيشون أيضا عليها ، حيث كانوا يتناولون الطعام وهم على ظهور الخيل ، التى كانوا يدفنون اللحم " المقدد " تحت سروجها .

أتيلا والقسم الشرقى من الإمبراطورية الرومانية :ان اتيلا طالب ثيودوسيوس الثانى برفع قيمة الجزية التى كانت الامبراطورية تؤديها له ، ولكن الامبراطور رفض فى كبرياء، وراح ينسج خيوط مؤامرة فى مدينة القسطنطينية للتخلص من اتيلا، ولكن الرجل عرف بهذه المؤامرة فى اللحظات الاخيرة، ويومها سخر من ثودوسيوس الثانى قائلا :" ان عبدة ثيودوسيوس الذى دأب على دفع الجزية له سولت له نفسه بأن يتأمر على قتل سيده " . ولان اتيلا لم يكن قانعا بما تحت يده من اراضى شاسعة فقد تطلع الى توسيع املاكه على حساب الامبراطورية وفى بداية الامر وقع بصره على القسم الشرقى من الامبراطورية ، فعبر نهر الدانوب فى سنة ٤٤١م واجتاح شبه جزيرة البلقان، حتى وصل بجحافله أبواب مدينة القسطنطينية.

أتيلا والقسم الغربى من الإمبراطورية الرومانية :معركة الشعوب ، عام ٤٥١م : وفى معركة سهل موريالك قرب شالون، على نهر السين الاعلى، سنة ٤٥١م ، هزم اتيلا وقواته هزيمة مدوية على يد أنتيوس.حيث ارتد اتيلا على اثارها شمالا، مخلفا وراءه اعدادا لا تحصى ولا تعد من القتلى والجرحى وهذه المعركة هى التى حملت فى التاريخ اسم " معركة الشعوب "

أسباب تراجع أتيلا عن احتلال مدينة روما عام ٤٥٢م :

١- المجاعة التى تعرضت لها قواته٠ ٢- والاوبئة التى انتشرت فيها . ٣- وصول البابا ليو الاول على راس سفارة الى معسكر اتيلا ، و هناك دارت المفاوضات بين الجانبين .٤- ولقد قيل ان طيف القديس بولس ظهر لاتيلا فانتابه الفزع .٥- تعهد الرومان بدفع جزية سنوية للهون .٦-وتواترت الانباء انذاك عن قرب مجئ القوات المتحالفة الغربية لمواجهة الهون .

وبعد .... لقد واتت المنية اتيلا بعد عودته الى هنغاريا بوقت قصير سنة ٤٥٣م ، فى ليلة زفافه. وبموته تمزقت امبراطوريته بين ابنائه. وفى معركة نهر نيداو سنة ٤٥٣ م تمكنت الشعوب الجرمانية من هزيمة أبناء" اتيلا" هزيمة ساحقة .

<u>الواندال والامبراطورية الرومانية :</u> عندما نقلب كتب التاريخ فاننا نرى أن الواندال ينتسبون الى الشعوب الجرمانية الشرقية التى غادرت ساحل البحر البلطى قبل تحرك القوط .وفى أواخر القرن الاول الميلادى ظهر الواندال كاحدى القبائل الجرمانية القوية حيث كانوا يعيشون فى الجزء الاوسط والشرقى من بروسيا ، ولكنهم ما لبثوا أن نزحوا من هناك ، بسبب هزيمتهم هزيمة ساحقة على يد قبائل اللانجوباردى (اللومباردیين) ، فتقدموا جنوبا الى المنطقة الواقعة بين سيليزيا وبوهيميا.وفى سنة ١٦٦ م ، وبسبب الاضطرابات التى أحدثتها حرب قبائل الماركونى ، اتجهت قبائل الواندال الاسدنج صوب الجنوب الى هنغاريا ، فى حين ظلت قبائل السيلنج بسيليزيا .